**المنهج الجيني**

يشكل المنهج الجيني، أو النقد التكويني، أحد أحدث المناهج النقدية التي ظهرت في القرن العشرين. وقد "ظهر مصطلح النقد التكويني أو التوليدي (critique génétique) سنة 1979 م، بعد أن طبعت دار فلاماريون بباريس كتابا تحت عنوان (أبحاث حول النقد التكويني - نص لوي أراغون نموذجا) ، وقد ألحقت بالكتاب دراسة للوي هاي (Louis Hay) عنوانها (النقد التكويني: الأصول والمنظورات) ، وفيها يعرف الباحث بالنقد التكويني، ويرصد مراحل هذا النقد، ويجمل مختلف المنظورات إزاء المخطوط الأدبي"(1) يهتم هذا المنهج بدراسة النص الأدبي من منظور تكويني، أي منذ بداياته الأولى كفكرة ومسودة، وحتى وصوله إلى الشكل النهائي المطبوع. يهدف النقد الجيني إلى كشف الأسرار المخفية وراء النص، وفهم العمليات الإبداعية التي مر بها الكاتب أثناء كتابته، وكيفية تطور النص وتغيره عبر الزمن.

**مفهوم النقد الجيني:**

يمكن القول إن المنهج الجيني أو التكويني "يهتم بالجذور أو البدايات الأولى للتكون النصي وتوالده وتناسله"(2). أي: يعود إلى الرحم الأول لعملية الكتابة. وبتعبير آخر، يتتبع النقد التوليدي المخطوط من عملية انبثاقه إلى مرحلة الانتهاء منه استعدادا لتقديمه إلى الطبع والنشر. "وبين البداية والنهاية مجموعة من المراحل يقوم بها الكاتب هي: التفكير تأملا وإدراكا، وإحضار أدوات الكتابة، والاستعداد للكتابة، والتسويد، والتحرير، والتنظيم، وتصحيح الأخطاء، وتوثيق النص، ونقل المعلومات الموثقة من الكراسات إلى المخطوط، وتوظيف الاستشهادات والمقتبسات داخل المخطوط، وحذف بعض الكلمات أو الجمل أو الفقرات أو المقاطع أو المتواليات أو النصوص إما إضمارا واقتضابا، وإما خوفا من الضغوطات الخارجية، وإما اتقاء من طابوهاتها المتنوعة، فيلتجئ الكاتب - إذاً- إلى الحذف والإخفاء والإلغاء خشية من ردود الأفعال القوية والعنيفة من القارئ الخارجي"(3)

إن النقد الجيني إذا هو المنهج الذي يدرس المراحل التي يمر بها النص الأدبي منذ نشأته الأولى وحتى صيرورته نصًا مكتملًا، وذلك من خلال تحليل المخطوطات والمسودات والوثائق المتعلقة به. لقد انتقل الاهتمام "من النص الداخلي إلى ماقبل النص، ومن السارد إلى المؤلف، ومن البنيات إلى المراحل، ومن العمل إلى المصادر. وبهذا، يكون الناقد التكويني هو الذي يهتم بمجموعة من المراحل، وهي: الإدراك، والإخبار، والتوثيق، والتحرير، والتنقيح، والتصحيح، والمراجعة"(4) ويهدف هذا المنهج إلى فهم العوامل التي أثرت في تكوين النص، وكيفية تطور فكر الكاتب وتغير أسلوبه.

**غايات النقد الجيني:**

-فهم عملية الإبداع: يسعى النقد الجيني إلى فهم العمليات الذهنية التي يمر بها الكاتب أثناء عملية الإبداع، وكيفية تحول الفكرة الأولية إلى نص مكتمل.

**-**كشف التعديلات**:** يهدف هذا المنهج إلى كشف التعديلات التي أجراها الكاتب على نصه، والأسباب التي دفعته إلى إجراء هذه التعديلات.

-تتبع تطور النص: يسعى النقد الجيني إلى تتبع تطور النص عبر الزمن، وكيفية تأثر هذا التطور بالعوامل التاريخية والاجتماعية والثقافية.

-فهم شخصية الكاتب: يمكن للنقد الجيني أن يساعد في فهم شخصية الكاتب، وأفكاره ومعتقداته، من خلال تحليل كتاباته ومخطوطاته.

ومثل هذا العمل المتعلق بالعملية الإبداعية ليس جديدا تماما ولا وليدا لمرحلة ما بعد الحداثة، فقد عرف العرب هذه الممارسة سابقا، لذلك يقول الدكتور رمضان عبد التواب: "يظن بعض الباحثين المحدثين من العرب، أن فن تحقيق النصوص فن حديث، ابتدعه المعاصرون من المحققين العرب، أو استقوه من المستشرقين، الذين سبقونا في العصر الحاضر بعض الوقت، في تحقيق شيء من تراثنا، ونشره بين الناس ولكن الحقيقة بخلاف ذلك؛ فقد قام فن تحقيق النصوص عند العرب مع فجر التاريخ الإسلامي، وكان لعلماء الحديث اليد الطولى في إرساء قواعد هذا الفن في تراثنا العربي، وتأثر بمنهجهم هذا أصحاب العلوم المختلفة. وإن كثيرا مما نقوم به اليوم من خطوات في فن تحقيق النصوص ونشرها، بدءا من جمع المخطوطات، والمقابلة بينها، ومرورا بضبط عباراتها، وتخريج نصوصها، وانتهاء بفهرسة محتوياتها، لما سبقنا به أسلافنا العظام من علماء العربية الخالدة"(5)

**إجراءات المنهج الجيني:**يدرس النقد الجيني مراحل تطور النص الأدبي وهي عدة،

-المرحلة الأولى: الفكرة الأولية: تبدأ عملية الإبداع بفكرة أولية تتبلور في ذهن الكاتب.

-المرحلة الثانية: المسودات: يقوم الكاتب بتدوين أفكاره الأولية في شكل مسودات أولية.

-المرحلة الثالثة: التعديلات: يقوم الكاتب بإجراء تعديلات على مسوداته، سواء كانت تعديلات لغوية أو أسلوبية أو فكرية.

-المرحلة الرابعة: النسخ النظيفة: يقوم الكاتب بنسخ النص النهائي في شكل نسخة نظيفة.

-المرحلة الخامسة: النشر: يتم نشر النص بعد مراجعته وتصحيحه.(6)

وعلى العموم يرتبط النقد الجيني بدراسة النص المخطوط في ضوء الرسائل، والمقدمات، والإهداءات، والكتابات الشخصية في الجرائد والمجلات، والحوارات المباشرة وغير المباشرة، وفي ضوء عمليات الكتابة والنسخ والتدوين وهذه العناصر كلها تفسر النص وتشرحه.

**رواد النقد الجيني:**

يمكن الحديث عن مجموعة من النقاد الذين اهتموا بالنقد الجيني، إما قديما كجوستاف لانصون، ورودلر، وب. أوديا (Audiat) ، وتيبوديه (Albert Thibaudet) ، وإما حديثا كجيرار جنيت (Gerard genette) الذي انكب على دراسة التعالق النصي والعتبات الفوقية التي تساعدنا على فهم النص وتفسيره، ولوي هاي (Louis Hay) الذي اهتم بأصول النقد التكويني ومنظوراته تنظيرا وتقعيدا وتأريخا، وجان بيلمان نويل (Jean Bellemin-Noel) الذي اهتم بالقراءة النفسية واللاشعور النصي، ودراسة النص في مرحلة ما قبل الطبع وبيير مارك دوبيازي (Pierre-Marc de Biasi) الذي استعرض علما جديدا لتحليل المخطوطات والمسودات، مع التركيز على مكونات النقد الجيني ورايمون دوبراي جنيت (Raymonde Debray Genette) التي درست مسودات فلوبير ومخطوطاته، وجاك نيف (Jacques Neefs) الذي اهتم بالمسودات والنسخ المتعددة لدى شاتوبريان ومونتاني وستاندال وهنري متيران (Henri Mitterand) الذي كان يعنى بالنقد التكويني في أعمال إميل زولا ورواياته، ودانييل فيرر وجان ميشيل راباتي (Daniel Ferrer and Jean-Michel Rabate) (7)

لكن السؤال الذي يتبادر إلى الذهن هو سؤال القيمة: ما قيمة المنهج الجيني اليوم حيث الكاتب لم يعد يتدخل في أمور الكتابة والتسويد والحذف والإضافة على النحو القديم حيث الأثر كان واضحا؟، إن برامج الحاسوب اليوم مهيأة لكل الخطوط وأنواع الكتابة، فهناك المصحح الآلي الذاتي الذي يقوم بكل شيء في الوقت نفسه.